إن الله يحب قديســيه، ويكرمهم على الأرض وفي الســماء. وقد أمرنا بـإكرامهم واعتبر ذلـك إكرامًـا لـه هو. فـإكرامهم تعليم كتـابي إلهي، من يخالفه يخالف الله...

الله يكرم قديسيه[1]

والذي يكرم القديسين، إنما يكرم الله الذي يحبهم...

لعل من أجمل الصـور التي تعبر عن إكرام الرب لقديسـيه، هي صـورة الرب على جبل التجلي مع قديسيه...

لقـد ظهر حوله موســى وإيليا في المجـد، لـدرجـة أن بطرس طلـب أن تُصــنَع ثلاث مظـال، للثلاثـة... (مر9). ومع أن المجـد للرب وحـده، إلا أنـه سيقيم قديسيه في مجد "لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ"(في3:21).

عجبت أيضًـا - في إكرام الرب لقديسـيه - من صـورة رآها القديس يوحنا ووصفها في سفر الرؤيا، عن الكهنة.

رأى "حَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْــرُونَ عَرْشًــا. وَرَأَيْتُ عَلَى الْعُرُوشِ أَرْبَعَةً وَعِشْـرِينَ شَـيْخًا جَالِسِـينَ مُتَسَـرْبِلِينَ بِثِيَابٍ بِيضٍ، وَعَلَى رُؤُوسِـهِمْ أَكَالِيلُ مِنْ ذَهَبٍ"(رؤ4:4).

كيف يمكن لهؤلاء أن يجلســوا على عروش أمـام عرش الله، وعلى رؤوســهم تيجان؟! أيُّ مجـد هـذا يمنحـه الله لأولاده، ولا يعتبره إطلاقًـا انتقاصًا من مجده؟!

ونفس الوضع، نفس المجد، منحه الله لرسله الاثني عشر.

"مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإنسان عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَـرَ كُرْسِـيًّا تَدِينُونَ أَسْـبَاطَ إِسْـرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَـرَ"(مت19:28) حقًّا إن في هذا لعجبًا، يجلسون على عرش، حول عرش مجده، لكي يدينوا الأسباط...

---

[1] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث – بمجلة الكرازة – السنة العاشرة – العدد العشرون 18-5-1979م

بل إن بولس الرسـول يقول أكثر من هذا: "أَلَسْـتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَـنَدِينُ مَلاَئِكَةً؟ فَبِالأَوْلَى أُمُورَ هذِهِ الْحَيَاةِ!"(1كو6:3). أليســت الدينونة للرب، وهو الديان العادل؟! ولكنه يســمح لأولاده أيضًــا أن يدينوا. وهذا ينقلنا إلى نقطة أخرى:

الله يعطي من ألقابه، ومن أسمائه، لقديسيه...

هو الديَّان، ويعطيهم أيضًــا أن يدينوا.. هو الملك والكاهن، ويعطيهم أيضًا أن يصيروا ملوكًا وكهنة. يملكون معه، ويرثون معه، ويجلسون معه في مجده.

هو نور العالم، ويقول لهم: "أنتم نور العالم".

هو الكرمة الحقيقية، ويقول عن الكنيسة إنها كرمة..

هو الراعي والمعلم. وأعطى تلاميذه أن يكونوا رعاة ومعلمين.

يخطئ من يظن أن الله يمنع المجد عن قـديســيه، أو من يظن أن إكرام القديسين إنقاص من مجد الله!!

بـل مـا أعجـب قول الرب لتلاميـذه: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا"(يو14:12).. وأمـام كلمـة أعظم منهـا، يقف العقـل منـذهلًـا أمـام محبـة الله لأولاده، وتكريمه لقديسيه.

فبقولـه: "مَن يكرمكم يكرمني" جعـل إكرام القـديســين إكرامًـا للـه نفسه، وليس إنقاصًا لكرامته.

هل تغارون أنتم لله ولمجده؟! إن هذا يذكرني بقصة يشوع بن نون، الذي غـار لأجل مجد معلمه موســى النبي، وأراد أن يمنع من وجدهم يتنبأون، **لكي يبقى موســى النبي الوحيد**!! وهنا قال له معلمه القديس: "هَلْ تَغَارُ أَنْـتَ لِي؟ يَـا لَيْـتَ كُـلَّ شَــعْـبِ الرَّبِّ كَـانُوا أَنْبِيَـاءَ إِذَا جَعَـلَ الرَّبُّ رُوحَـهُ عَلَيْهِمْ"(عدد11:29).

إننا نكرم القديسين، لأن الله نفسه يكرمهم.

يقول الســـيد الرب: "وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآبُ"(يو12:26). والآب يكرم هؤلاء ليس في الســماء فقط، إنما على الأرض أيضًــا. أثناء حياتهم، وبعد انتقالهم أيضًا.

من أمثلة هذا الإكرام، تسمية الشريعة باسم موسى.

إنها شريعة الله، ومع ذلك يسميها "شَرِيعَةِ مُوسَى". إنه ناموس الرب، ومع ذلك يســميه ناموس موســى. ويقول: "إِنَّ مُوسَــى مِنْ أَجْلِ قَسَــاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَـــاءَكُمْ"(مت19:8)، بينما الله هو الذي أذِن، ولكن على فم موسى... والله لا يجد غضاضة من أن ينسب أوامره وأقواله إلى موسى، بل هذا فيض من حبه.

وكثير من أسفار الله المقدسة منسوبة إلى قديسيه.

لقد حملت أســماءهم، بينما هي كتب الله وحده.. أوحى بها الروح القدس، الناطق في الأنبياء، وبعد ذلك جعلها تحمل أســماءهم، حتى الأناجيل.

إنه تواضع الله.. وأيضًا إنها محبة الله لقديسيه.

وبنفس الوضع سمح أن تُبنى الكنائس على أسماء قديسيه، وسمح أن تُجرَى المعجزات على أيدي قديســيه. وســمح أن يتعلق أولاده قلبيًّا بهؤلاء القديسين، بل دعاهم إلى ذلك. وقال: "من يكرمكم يكرمني"، "وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي"(لو10:16).

بل إن الله أكثر من هذا، سمَّى نفسه بهم.

فقال: "أَنَا إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ"(خر3:6)، (مت22:32). إنه إله القديســين، إله آبائنا الذي نكرمهم فنكرمه. وأحس القديســون بهذا فكانوا ينادون الرب بأسماء قديسيه "يَا رَبُّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ آبَائِنَا"(1أخ29: 10 - 18)، يا إله الآباء (1مل18: 36- 38)، (حك9: 1 - 4).

ولعل كمقدمة لإكرام الآباء، قال: "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ"(تث5:16).

فإن كنا نكرم الآباء حســب الجســد، بوصــية، هي أولى الوصــايا في العلاقات البشرية بين الوصايا العشر، وأول وصية بوعد، أفلا نكرم آباءنا الروحيين بالأولى؟ أفلا نكرم مرشــدينا الذين قادونا في الإيمان، الرســل

والأنبياء؟ ويكون إكرامهم حسب الوصية الإلهية، حسب كلمة الله المقدسة... هؤلاء الذين يكرمهم الله نفسه بقوله: "أُكْرِمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي"(1صم2:30).

ومن إكرامه لهم جعل الناس يطلبون صلواتهم.

فلما حدث أن أبيمالك أخذ امرأة أبينا إبراهيم، أن قال له الله في حلم: "... رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَيُصَلِّيَ لأَجْلِكَ فَتَحْيَا. وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تَرُدُّهَا، فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ، أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ"(تك20:7).

إنه يُظهِر لأبيمالك مدى فاعلية صلاة إبراهيم لأجله، ليحيا.

ونفس الكلام يقول الرب لأصحاب أيوب الصديق: "... وَاذْهَبُوا إِلَى عَبْدِي أَيُّوبَ، وَأَصْعِدُوا مُحْرَقَةً لأَجْلِ أَنْفُسِكُمْ، وَعَبْدِي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِنْ أَجْلِكُمْ، لأَنِّي أَرْفَعُ وَجْهَهُ لِئَلاَّ أَصْنَعَ مَعَكُمْ حَسَبَ حَمَاقَتِكُمْ"(أي42:8).

إن الرب يشترط صلاة أيوب لأجلهم ليغفر لهم ونلاحظ أن عبارة: "فَإِنَّهُ نَبِيٌّ" بالنسبة إلى إبراهيم، هي إظهار لمدى كرامة هذا الإنسان. وعبارة: "عَبْدِي أَيُّوبَ" مع عبارة "أَرْفَعُ وَجْهَهُ"، فكليهما تحملان إكرام الله لهذا القديس في أعين أصحابه.

إن اهتمام الله بصلوات هؤلاء القديسين، تعني أنه منحهم أمام الناس (مفاتيح السماء)، كما قال للرسل.

انظروا إلى إيليا، كيف يقول بسلطان: "حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي"(1مل17:1). إن عبارة (إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي). تظهر مقدار ثقة هذا النبي بمكانته عند الله، ومدى قوة كلمته وقوله.

بل حتى غضب القديسين، وعقوباتهم لغيرهم، كان يعتمدها الله.

إيليا يقول لقائد الخمسين: "إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ. فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ"(2مل1:10).

وتتكرر المعجزة أكثر من مرة، لترينا مدى قوة إيليا.

وإليشـــع النبي، يوبخ تلميذه جيحزي الذي جرى وراء نعمان الســـرياني يطلب منه حســنات، وأنكر على معلمه، فيقول له: "فَبَرَصُ نُعْمَانَ يَلْصَـقُ بِكَ وَبِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ"(2مل5:27). فخرج جيحزي من أمامه أبرص كالثلج.

واللعنة التي أوقعها نوح على حفيده كنعان، اعتمدها الســيد المســيح في حديثه مع المرأة الكنعانية..

وفي الإنجيـل، في العهـد الجـديـد، نجـد نفس الهيبـة بـالنســبـة إلى القديســين: بطرس الرســول، بكلمة منه، يســقط حنانيا ميتًا، ثم تســقط سفيرة زوجته ميتة مثله، بكلمة.

وبولس الرسول، بأمره: يصير عليم الساحر أعمى.

إنها هيبة القديسين، والكرامة التي منحها الله بكلمتهم...

وكما كانت عقوباتهم سارية المفعول، كذلك كانوا أيضًا بركة..

إيليا، كان بركة في بيت الأرملة. قال لها في وقت المجاعة: "كُوَّارَ الدَّقِيقِ لاَ يَفْرُغُ، وَكُوزَ الزَّيْتِ لاَ يَنْقُصُ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُعْطِي الرَّبُّ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ"(1مل17:14)، وقد كان. وبنفس البركة أقام إيليا ابن الأرملة من الموت.

ويوســف الصــديق كان بركة في بيت فوطيفار. وبنفس الوضــع كان يعقوب بركة في بيت لابان. والله يقول لأبرام: "وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْــمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً، وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ"(تك12: 2، 3).

ومن إكرام الله لقديسيه، أنه كان يأخذ رأيهم.

إن الله قبل أن يعاقب ســدوم، **عرض الأمر على إبراهيم**، قائلًا: "هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟" (تك18: 17، 18). وتفاهم الله مع إبراهيم، ونفَّذ له طلبه، وفي قوله: "لا أُهلِك لأجل العشرة" إكرامًا لإبراهيم، وللعشرة إن وُجِدوا.

ونفس الأمر حدث بين الله وموســى، حينما أراد الله أن يُهلِك الشــعب كله. وما أعجب قول الكتاب بعد حديث الرب مع موســى: "فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّــرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَــعْبِهِ"(خر32: 7 - 14)، وقَبِل الرب شــفاعة موسى.

ومن أمثلة إكرام الله لقديسيه، قوله: "من أجل.. عبدي".

"مِنْ أَجْلِ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِي"(تك24:26)، "لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي"(1مل13:11). وقول المرتل: "مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِكَ لاَ تَرُدَّ وَجْهَ مَسِيحِكَ"(مز10:132).